لغة – كلام الاستلام: 2026/10/04 القبول: 2026/11/02 النشر: 2026/11/26

من سلطة النص إلى فاعلية القارئ دراسة في تحولات إنتاج المعنى في ضوء نظرية التلقي

بن الدين بخولة
المركز الجامعي افلو – الجزائر
b.bekhaoula@cu-aflou.edu.dz

ملخص البحث

تناول هذا البحث التحولات التي عرفها مفهوم إنتاج المعنى في الدرس النقدي واللساني الحديث، من خلال الانتقال من التصورات التي جعلت النص مركزًا للعملية الأدبية ومصدرًا أساسًا للمعنى، إلى تصورات حديثة أسهمت في إبراز دور القارئ وفاعليته في بناء الدلالة. فقد فرضت المناهج النصية، ولا سيما البنيوية، تصورًا يقوم على استقلال النص ومركزية بنيته الداخلية، مع الحد من حضور العوامل الخارجية، وفي مقدمتها ذات القارئ وخبراته التأويلية. غير أن هذا التصور شهد مراجعة عميقة مع ظهور نظرية التلقي التي أعادت الاعتبار إلى القارئ، بوصفه طرفًا فاعلًا في العملية التواصلية والأدبية، وليس مجرد متلقٍّ سلبي للمعنى. وقد أسهمت أعمال هانس روبرت ياوس وفولفغانغ إيزر في ترسيخ هذا التحول، من خلال مفاهيم مثل أفق التوقع، وفعل القراءة، والقارئ الضمني، والفراغات النصية، حيث أصبح المعنى نتاجًا لتفاعل مستمر بين بنية النص وخبرة القارئ وسياقه الثقافي والتاريخي.

الكلمات المفتاحية: سلطة النص، فاعلية القارئ، نظرية التلقي، إنتاج المعنى، القراءة.

LOUGKA - KALAM Reçu le: 04/10 / 2026 Accepté le: 02/11 / 2026 Publié le: 26/11 / 2026

Electronic calendars in Algerian universities: the Moodle platform experience between possibilities and obstacles

✍ bendine bekhaoula
C.U Aflou (Algeria)
b.bekhaoula@cu-aflou.edu.dz

ABSTRACT:

Modern literary criticism and linguistics. It traces the shift from approaches that regarded the text as the center of the literary process and the primary source of meaning to contemporary perspectives that have emphasized the reader's role and agency in constructing significance.

Text-oriented approaches, particularly structuralism**, established a conception based on the autonomy of the text and the centrality of its internal structure, while restricting the influence of external factors, especially the reader's subjectivity and interpretive experiences. However, this conception underwent a profound reconsideration with the emergence of** Reception Theory**, which restored the reader to a central position as an active participant in the communicative and literary process rather than merely a passive recipient of meaning.**

The works of Hans Robert Jauss **and** Wolfgang Iser **played a significant role in consolidating this transformation through concepts such as the** horizon of expectations, the act of reading, the implied reader, and textual gaps**. Meaning thus came to be understood as the product of an ongoing interaction between the structure of the text, the reader's experience, and their cultural and historical context.**

KEYWORDS: Textual Authority, Reader Agency, Reception Theory, Meaning Production, Reading.

مقدمة:

تُعد قضية المعنى من أبرز الإشكالات التي شغلت الفكر النقدي واللساني الحديث، إذ ارتبطت طويلًا بالسؤال حول مصدر الدلالة وحدودها: هل يستمد النص معناه من بنيته الداخلية؟ أم أن المؤلف هو صاحب السلطة النهائية في تحديد دلالته؟ أم أن القارئ يشارك بدوره في بناء المعنى وإعادة إنتاجه؟ وقد شهدت النظرية النقدية تحولات عميقة في الإجابة عن هذه الأسئلة، انتقلت بموجبها الدراسات الأدبية من التركيز على **سلطة النص ومركزيته** إلى الاهتمام بفاعلية المتلقي ودوره في العملية التأويلية.

وقد مثّل ظهور **نظرية التلقي** تحولًا نوعيًا في تاريخ النقد الأدبي؛ لأنها أعادت الاعتبار إلى القارئ، ولم تعد تنظر إليه بوصفه مستقبلًا سلبيًا للمعنى، وإنما بوصفه عنصرًا فاعلًا في تحقيق الدلالة. ومن هنا أصبحت القراءة عملية تفاعلية يلتقي فيها النص مع خبرة القارئ وأفق توقعه وسياقه التاريخي والثقافي.

وينطلق البحث من إشكالية مركزية مفادها:

كيف انتقلت النظرية الأدبية من مركزية النص وسلطته في إنتاج المعنى إلى الاعتراف بفاعلية القارئ في بناء الدلالة؟ وما حدود هذه الفاعلية في ضوء نظرية التلقي؟

مركزية النص في المناهج النقدية:

شكّل النص الأدبي، منذ نشأة الدراسات النقدية الحديثة، محورًا أساسيًا في عملية التحليل والفهم والتفسير. فقد انشغلت المناهج النقدية بمختلف اتجاهاتها بالسؤال عن طبيعة النص، ومكوناته، وآليات بنائه، والعلاقات التي تنتظم داخله، وإن اختلفت في تحديد موقعه ضمن العملية الأدبية. غير أن مرحلة مهمة من تاريخ النقد الحديث اتسمت بمنح النص سلطة مركزية، والنظر إليه بوصفه كيانًا قائمًا بذاته، يمكن الكشف عن دلالاته من خلال تحليل بنيته الداخلية دون الحاجة الملحّة إلى استحضار المؤلف أو القارئ أو الظروف الخارجية المحيطة به.،وقد فتحت نظريات القراءة ومناهج ما بعد البنيوية والحداثة المجال أمام التأويل ونعدد القراءات التي ساهمت في تعدد ، دلالات حيث خضع النص الأدبي قبل الستينيات لقراءة سياقية ولمقاربات محايثة يرى محمد بوعزة إن تعدد دلالات النص يرجع إلى طبيعة النص كشبكة من الاشتباكات والتحويلات لنصوص سابقة تقاوم كل تفسير أحادي يقمع حريتها من الانتشار (بوعزة،2011،ص:10)

1- النص في المنهج الشكلاني:

أسهم الشكلانيون الروس في إحداث تحول مهم في تاريخ النقد الأدبي، إذ نقلوا الاهتمام من مضمون العمل الأدبي وعلاقته بحياة المؤلف أو الواقع الاجتماعي إلى **كيفية اشتغال اللغة داخل النص**.

وقد ركز الاتجاه الشكلي على مفهوم الأدبية، أي الخصائص التي تجعل من نص ما عملًا أدبيًا، وعلى الوسائل الفنية التي تمنح اللغة الأدبية خصوصيتها. ومن ثم أصبح السؤال النقدي الأساسي لا يتمثل في : *ماذا يقول النص؟* فحسب، وإنما في :**كيف يقول النص ما يقوله؟**

1-1-مركزية النص في البنيوية:

بلغت مركزية النص مرحلة أكثر وضوحًا مع البنيوية، التي استفادت من التصور اللساني لدى فرديناند دي سوسير، ولاسيما فكرة اللغة بوصفها نظامًا من العلاقات.

وانطلاقًا من هذا التصور، نظر البنيويون إلى العمل الأدبي باعتباره **نسقًا من العلاقات الداخلية**، لا مجموعة من العناصر المنفصلة. فدلالة العنصر لا تتحدد في ذاته فقط، وإنما من خلال موقعه وعلاقته بالعناصر الأخرى داخل النظام.

فالقارئ لا يكون مجرد هاوٍ للمتعة أو التسلية أو أن يكون غير ملمٍّ بقواعد اللغة وفنون القول ، لكن هذا المطلب في الوقت نفسه يحد من انتشار الأدب ؛ بسبب صعوبة العثور على عدد كبير من القراء ليتحلّى بهذا المستوى الممتاز الذي يخلق نوعاً من الارستقراطية الأدبية (ينظر:فائق،وعبد الرضا،د.ت،ص:184)

1-2-استقلال النص عن المؤلف:

من أهم مظاهر مركزية النص الاتجاه نحو **استقلال النص عن مؤلفه** .وقد ارتبط هذا التصور بالنقد الجديد، خاصة مع الدعوة إلى عدم اختزال العمل الأدبي في نوايا صاحبه.

فالنص، وفق هذا المنظور، لا ينبغي أن يُفسر اعتمادًا على المعلومات المتعلقة بحياة المؤلف أو مقاصده الشخصية، لأن العمل الأدبي يمتلك نظامًا دلاليًا خاصًا يمكن تحليله من داخله.

وأدَّى ذلك إلى قَطع صِلَة المؤلِّف - بشكلٍ تدريجيّ - مع نصِّه الذي أبدعه، ثمَّ آلَ الأمرُ في تطرُّف البنيويّين وغيرهم إلى المناداةِ بما سمَّوه" :موت المؤلف"، وموت الإنسان .

وصار يتُحدَّث عن" أدبيَّةٍ بلا مؤلِّف، وشعرٍ بلا شعراء"، واقترحَت الشكلانيَّةُ الروسية - مجموعة الأبوياز -: "أنه لا وجود لشعراء أو شخصيَّات أدبيَّة؛ هناك شعر وأدَب" (آن جفرسون،د.ت،ص:47)وربما نُظِر إليه في أحسن الأحوال لا ك"صاحب رؤًى أو عبقريّ، بل كعاملٍ ماهر يرتِّب، أو بالأحرى يعيد تَرتيب المادَّة التي تَصادف وجودها في متناوله (المرجع نفسه،ص:47)

وهنا ظهرت فكرة مهمة مفادها أن **نية المؤلف لا تمثل معيارًا نهائيًا لتحديد معنى النص**، وأن المعنى ينبغي أن يُدرس من خلال ما يتيحه النص ذاته من علاقات وإشارات وبنى.

1-3- من مركزية النص إلى سؤال القارئ:

تمثل هذه المرحلة نقطة التحول الأساسية في البحث؛ فبعد أن كان النص يحتل مركز العملية النقدية، بدأ الاهتمام ينتقل إلى السؤال عن **دور القارئ في تحقيق المعنى**. يكون القارئ منتجًا إذ يهدم النص ويكتشف أصوله حسب ما تمده ذاكرته بذلك، ثم يقوم بإعادة بنائه من جديد وبكيفية أخرى، تلق/ إنتاج، والإنتاجية – وفق بارت- تدور دوائر إعادة التوزيع عندما يباشر الكاتب أو القارئ مداعبة الدال (بارت،د.ت،ص:39) فإذا كان النص يحمل إمكانات دلالية متعددة، فإن هذه الإمكانات لا تتحول إلى معنى فعلي إلا من خلال عملية القراءة. ومن ثم أصبح القارئ شريكًا في العملية الأدبية، لا مجرد مستقبل سلبي.

2.التحول من بنية النص إلى فعل القراءة

يمثل الانتقال من دراسة **بنية النص** إلى دراسة **فعل القراءة** مرحلة أساسية في تاريخ النقد الحديث. ففي حين كانت المقاربات النصية تركز على السؤال :*كيف بُني النص؟* ، أصبح الاهتمام يتجه تدريجيًا إلى سؤال آخر :*كيف يُقرأ النص؟ وكيف تتشكل دلالته لدى القارئ؟ فالقارئ* لم يعد مستهلكًا للإنتاج اللغوي فقط فالنصوص لا تتجه إلى الخواء ولم تأت من فراغ، والقارئ لم يعد يقبل الدور الآلي لنفسه لأنه لم يعد مجرد متلقٍ بل هو حصيلة ثقافية ونفسية تتلاقى مع منتج هو مثلها في تكوينه الحضاري، والنص هو الملتقى لهاتين الحصيلتين (الغذامي،1985،ص:79)

ولا يعني هذا التحول التخلي عن النص أو إلغاء أهميته، وإنما يعني إعادة تحديد موقعه ضمن العملية الأدبية. فالنص لم يعد غاية التحليل الوحيدة، وإنما أصبح أحد طرفي علاقة تفاعلية تجمعه بالقارئ..

2-1-ظهور المتلقي في الدراسات الأدبية:

نتيجة لهذا التحول، بدأ المتلقي يكتسب موقعًا متقدمًا في الدراسات الأدبية. فبعد أن ظل لفترة طويلة عنصرًا هامشيًا في العملية النقدية، أصبح يُنظر إليه بوصفه طرفًا أساسيًا في عملية التواصل الأدبي.

وقد ارتبط هذا التحول بتطور مجموعة من الاتجاهات التي اهتمت بالاستجابة والقراءة والتأويل، والتي أسهمت في إعادة تعريف العمل الأدبي باعتباره ظاهرة لا تتحقق بصورة كاملة إلا من خلال التفاعل مع المتلقي. ويختلف مفهوم **المتلقي** هنا عن مفهوم القارئ بالمعنى البسيط؛ فالمتلقي هو الذات التي تدخل في علاقة مع النص، وتمتلك مجموعة من الكفايات والمعارف والتوقعات التي تمكنها من فهمه وتأويله. ولذلك لا يكون المتلقي مجرد مستقبل للمعلومات، وإنما يشارك في إعادة تنظيمها ومنحها قيمة ودلالة. ومن أهم مرتكزات هذا الاتجاه البحثي، هو أن القارئ هو المحور الأهم في عملية التلقي، وعلاقته بالنص ليست علاقة جبرية موظفة لخدمة نظام أو طبقة كما في الماركسية،وليست عالقة سلبية كما في المذهب الرمزي

وإنما هي علاقة حرة غير مقيدة. أما صاحب النص فقد أهملت النظرية دوره في عملية التلقي،بمعنى أن دراسة أحواله النفسية والتاريخية ليست أمرا ضروريا يعتمد عليه المتلقي في تعامله مع النص.فالنظرية تشير في مجموعها إلى تحول هام في عملية التلقي من صاحب الإنتاج إلى النص والقارئ (بن دنيا،2013،ص:133)

ومن هذا المنظور، لم يعد العمل الأدبي يتحدد بالنص وحده، وإنما بالثلاثية:

المؤلف ← النص ← القارئ

غير أن نظرية التلقي ستعيد بناء هذه العلاقة بطريقة تجعل القارئ طرفًا فاعلًا في تحقيق العمل الأدبي.

2-2-من استهلاك المعنى إلى إنتاجه:

يُعد الانتقال من **استهلاك المعنى إلى إنتاجه** من أبرز مظاهر التحول في الدراسات الأدبية الحديثة. ففي التصورات التقليدية، كان القارئ يُنظر إليه غالبًا باعتباره متلقيًا لمعنى سبق أن حدده المؤلف أو احتواه النص، وكانت مهمة القراءة تتمثل في الوصول إلى ذلك المعنى والكشف عنه.

أما التصورات الحديثة، فقد أعادت النظر في هذه العلاقة، وأكدت أن القارئ لا يكتفي باستقبال المعنى، بل يسهم في إنتاجه من خلال عملية القراءة.، لما كان المعنى ِنتاج لعقد صلة التواصل والتفاعل بين النص والمتلقي، بات من الضروري بمكان تفعيل هذه العلاقة ليتسنى لنا معاينة دور كل منها في توجيه سيرورة القراءة ورسم معالم المعنى الكامن في النص وللإجابة على سؤال كيف نقرأ نصا أدبيا؟ تقتضي أن نحدد نصيّب كل من النص وقارئه في عملية تجسيد معنى النص، أي في عملي إخراج المعنى من حالة الكمون إلى حالة آالظهور، فالقراءة ليست تلقيا سلبيا ،إنما هي تفاعل خلاق ومشاركة حقيقية ين النص والقارئ (سحلول،2001،ص:57).وبذلك تصبح القراءة عملية تفاوض مستمر بين النص والقارئ؛ فالنص يوجه القراءة من خلال بنيته وإشاراته وعلاقاته، والقارئ يستجيب لهذه الإشارات ويعيد تنظيمها وتأويلها في ضوء أفقه المعرفي والجمالي..هنا يظهر الفرق بين مفهومين أساسيين:

استهلاك المعنى:

النص يحمل معنى جاهزًا ← القارئ يستقبله ويكشف عنه.

إنتاج المعنى:

النص يقدم إمكانات دلالية ← القارئ يتفاعل معها ← تتشكل الدلالة من خلال القراءة.

وهذا التحول هو الذي سيمهد بصورة مباشرة لظهور نظرية التلقي التي ستجعل من العلاقة بين النص والقارئ موضوعًا مركزيًا للدراسة.

3.من السؤال عن معنى النص إلى السؤال عن فعل القراءة:

3-1-نحو إعادة بناء العلاقة بين النص والقارئ:

إن الإرهاصات السابقة مهدت لإعادة بناء العلاقة بين النص والقارئ على أساس جديد. فلم يعد من الممكن النظر إلى أحدهما بمعزل عن الآخر؛ فالنص يحتاج إلى القراءة لكي تتحقق إمكاناته، والقارئ يحتاج إلى النص لكي يمارس فعل الفهم والتأويل.

وبذلك تتحول العملية الأدبية من علاقة أحادية الاتجاه إلى علاقة تفاعلية:

النص ↔ القارئ

وفي هذه العلاقة لا يفقد النص أهميته أو سلطته، كما لا يصبح القارئ صاحب سلطة مطلقة، وإنما تتشكل الدلالة من خلال التفاعل بين الطرفين.. إنَّ القراءة تفاعل دينامي بين النص والقارئ ؛ لأنَّ إشارات النص اللغوية وتراكيبه لا يمكن لها أن تضطلع بوظيفتها إلا إذا أطلقت الأفعال التي تؤدي إلى نقل النص إلى وعي قارئه ،وهي تفلت من السيطرة الداخلية للنص، هذا الفصل يؤسس لإبداعية التلقي وتشهد على صحة هذه النظرية أعمالا أدبية نسبيا إن التركيز على القارئ في تاريخ الأدب تبلور بالأساس في أحضان مدرسة جمالية التلقي (robert,1978,p:3)التي ردت الاعتبار للقارئ

وهذا هو الأساس الذي ستبني عليه **نظرية التلقي** تصوراتها حول أفق التوقع، والقارئ الضمني، والفجوات النصية، والاستجابة الجمالية، وغيرها من المفاهيم التي ستعيد صياغة مفهوم المعنى وعملية إنتاجه.

3-2-نظرية التلقي وتحول مركز العملية الأدبية:

شكّل ظهور نظرية التلقي منعطفًا حاسمًا في تاريخ النقد الأدبي الحديث، إذ أسهم في إعادة النظر في طبيعة العمل الأدبي ومكوناته والعلاقات التي تنتظم العملية الأدبية. فبعد أن احتل النص مركز الاهتمام في المناهج الشكلية والبنيوية، وبعد أن انصبّ التحليل على بنيته الداخلية وعناصره الفنية، انتقل الاهتمام إلى عنصر ظل طويلًا في موقع ثانوي، هو **القارئ أو المتلقي**.

وقد ارتبط تأسيس نظرية التلقي بصورة خاصة بمدرسة **كونستانس** الألمانية، وبأعمال كل من **هانس روبرت ياوس** و**فولفغانغ إيزر**، اللذين قدما تصورين متكاملين نسبيًا لدور المتلقي في العملية الأدبية؛ فقد ركز ياوس على البعد التاريخي والاجتماعي للتلقي، وعلى مفهوم **أفق التوقع**، بينما اهتم إيزر بفعل القراءة وبالبنية النصية التي تستدعي مشاركة القارئ، ولاسيما من خلال مفهوم **القارئ الضمني** و**الفجوات النصية**.

3-3-نشأة نظرية التلقي وتحول مركز الاهتمام:

ظهرت نظرية التلقي في سياق نقدي اتسم بمراجعة عدد من المسلمات التي قامت عليها المناهج السابقة. فقد أدى التركيز على النص بوصفه بنية مستقلة إلى إهمال نسبي للظروف التي يتحقق فيها النص من خلال القراءة. كما أن المناهج التي ركزت على المؤلف أو على السياق التاريخي والاجتماعي لم تمنح فعل التلقي المكانة التي يستحقها.، لعل الظّهور الأوّل لنظريّة التّلقّي كمنهج قائم بذاته يعود إلى ستينيات القرن الماضي. وبالضّبط في جامعة كونسطانس الألمانية" .**فمنذ 1966 لم تتوقّف جمالية التّلقّي المعروفة باسم مدرسة كونسطانس عن التّطوّرلتتحوّل إلى نظرية للتّواصل الأدبي وينحصر موضوع أبحاثها في التّاريخ الأدبي بوصفه إجراء يوظّف ثلاثة عناصر فاعلة هي: المؤلِّف والعمل الأدبي والجمهور أي عملية جدلية تتمّ فيها دائما الحركة بين الإنتاج والتّلقّي**" (إسماعيل،2002،ص،45)

وبذلك انتقل مركز العملية الأدبية من:

المؤلف ⟶ النص

إلى علاقة أكثر شمولًا:

النص ⟷ القارئ

وهذا التحول يعني أن السؤال لم يعد مقتصرًا على كيفية بناء النص، وإنما أصبح مرتبطًا أيضًا بكيفية استقباله، وبالكيفية التي تتغير بها دلالته وقيمته الجمالية تبعًا لاختلاف القراء والعصور.

3-4-مدرسة كونستانس وتأسيس نظرية التلقي

ارتبطت نظرية التلقي بصورة خاصة بجامعة كونستانس في ألمانيا خلال ستينيات القرن العشرين، حيث برز عدد من الباحثين الذين سعوا إلى إعادة بناء تاريخ الأدب على أساس جديد يجعل المتلقي عنصرًا أساسيًا في العملية الأدبية. ذا عدّت عملية الالتفات إلى القراءات التاريخية في عملية التّلقّي ضرورة لابُدّ منها نظرا للأضواء التي تُلقيها على طريق الفهم حيث" **رأى ياوس في محاضرة ألقيت بجامعة كونسطانس عام 1967م عن أنّ التّاريخ الأدبي لابدّ له أن يحتفظ على نوع من الصّلة الحيوية بين نتاج الماضي واهتمامات الحاضر. وقد عزا ياوس أزمة الأدبيّة إلى إهمال الأفكار القديمة الخاصّة بعلم تاريخ الأدب" (أبو حامد،1996،ص:30)**

فقد اهتم ياوس بالتاريخ الأدبي من منظور تلقي الأعمال واستجابات القراء لها، بينما ركز إيزر على العلاقة التفاعلية بين النص والقارئ، وعلى العمليات التي تحدث أثناء فعل القراءة.

3-4-1-هانس روبرت ياوس ومفهوم أفق التوقع:

يحتل هانس روبرت ياوس موقعًا أساسيًا في بناء نظرية التلقي، وقد سعى إلى إعادة صياغة تاريخ الأدب انطلاقًا من **استجابات القراء**، بدل الاقتصار على تاريخ المؤلفين والنصوص. يمكن اعتبار) أفق التوقّع (حجر الزاوية في نظريّة التلقّي حسب افتراضات ياوس .كأساسٍ للقراءة والتفسير، ومن ثمّة كأساس « وقد طرح هذا الأخير ذلك المفهوم الجوهريّ لإبداعيّة النصّ .وهو مفهوم يضع منظومة التوقّعات والافتراضات الأدبيّة والسياقيّة، التي تكون مترسّبة في ذهن القارئ حول نصّ ما - قبل الشروع في قراءة النصّ - وهي فروض وتصوّرات قد تكون فرديّة لدى شخصٍ محدّد حول نصّ محدّد، وقد تكون تصوّرات .يحملها جيلٌ أو فئة من القرّاء (الغذامي،1994،ص:164)

ويرتكز تصور ياوس على فكرة أن القارئ لا يدخل إلى النص خالي الذهن، وإنما يحمل معه مجموعة من المعارف والقيم والتوقعات والمعايير الجمالية التي تشكل ما يسميه **أفق التوقع**.

وبذلك يصبح فهم العمل الأدبي مرتبطًا بالمسافة بين ما يتوقعه القارئ وما يقدمه النص.

ومن هنا يبرز مفهوم **المسافة الجمالية**، أي المسافة التي قد تنشأ بين العمل الجديد وبين توقعات الجمهور السائدة. فإذا جاء العمل مطابقًا تمامًا للتوقعات، فقد يكون أثره الجمالي محدودًا، أما إذا خالف هذه التوقعات وأحدث نوعًا من المفاجأة، فإنه يمكن أن يؤدي إلى إعادة تشكيل أفق القارئ.

لقد تفطّن ياوس إلى سلوك ينجرُّ من المتلقيّ عندما يقبل على الأثر الأدبي، مدركا أنّ ردّة فعله قد تختلف و تتنافى مع ما يريد النّصّ قوله بيد أن القارئ فكلّما أجهد القارئ نفسه للوصول إلى صرح النّصّ لإماطة اللثّام عن معانيه، كلّما بدا راقيا وبتعبير أدق، كلّما طالت المسافة الجمالية، أيّ المشوار الّذي يسلكه المتلقيّ ليدقَّ باب المعاني أنه لا يؤدي **إلى تخييب أفق انتظار القارئ و قلقه ليرسو في ميناء المعنى، مسافة جمالية فاصلة بين أفق الانتظار السّائد وبين الأفق المستحدث في العمل الجديد وهذا ما ينتج استجابات مختلفة كعدم الاعتراف بقيمة النّصّ، أو فهمه على نحو متأخّر، وبفضل هذه الضّجّة التّي يثيرها النّصّ، تقاس درجة أهميّة وقيمة الجمالية** (ينظر:عمري،2009،ص:17)

3-4-2-أفق التوقع و إنتاج المعنى:

تكمن أهمية مفهوم أفق التوقع في أنه يفسر اختلاف القراءات باختلاف الأزمنة والثقافات. فقد يُقرأ النص نفسه بطريقة مختلفة من جيل إلى آخر، لأن القارئ لا يواجه النص بمعزل عن خلفيته الثقافية والتاريخية. فالتعرف على المعنى وتحديد حجمه وامتداداته جزء من سيرورة تشكّله سيكون القول بإمكانية الإحاطة الكلية بالدلالة النهائية للنص ضمن قراءة واحدة شاملة أمرا في غاية الغرابة. فأبسط نصّ سرديّ

لا يمكن أن يكون حاملا لدلالة واحدة" (بنكراد،د.ت،ص:119) ي حين يذهب أمبرتو إيكو إلى أنّ النّص وإن كان مشتملا على المعنى، وإن كانت أيضا قوانينه الدّاخلية تفتح إمكانية التّأويل إلا أنّها لا تفتحها بصورة نهائيّة، مثلما يرى أيضا أنّ التأويلات المختلفة لنصّ ما ليست مفروضة على النّص من القارئ بقدر ما هي متولّدة من التفاعل بينهم (المرجع نفسه،ص:120-123)وهذا يعني أن المعنى ليس ثابتًا بصورة مطلقة، وإنما يمكن أن تتغير طريقة تحققه تبعًا لتغير أفق المتلقي. وبذلك أسهم ياوس في نقل مفهوم المعنى من **الثبات النصي** إلى **التاريخية والتفاعلية**، وأصبح تاريخ الأدب مرتبطًا أيضًا بتاريخ القراءات والاستجابات.

4.فولفغانغ إيزروفعل القراءة:

إذا كان ياوس قد ركز على البعد التاريخي والاجتماعي للتلقي، فإن فولفغانغ إيزر ركز بصورة أكبر على **فعل القراءة** وعلى العلاقة التي تنشأ بين النص والقارئ أثناء عملية التلقي.

ومن ثم فإن القارئ لا يكتفي باستقبال ما يقوله النص، وإنما يقوم بعملية مستمرة من التوقع وإعادة التوقع، والربط بين أجزاء النص، وبناء العلاقات بين المعلومات المقدمة والمعلومات التي لم تُذكر بصورة صريحة. **انصب اهتمام إيرزعلى القارئ الفرد، وعلى كيفية أن يكون للنّص معنى لدى القارئ، وفي أيّ الظّروف، ورأى «المعنى بوصفه نتيجة للتّفاعل بين النّص والقارئ أي بوصفه أثراً** Trace **يمكن ممارسته، وليس موضوعاً يمكن تحديده» (خليل،2009،ص:103)** وهكذا تصبح القراءة فعلًا ديناميكيًا تتحرك فيه الدلالة باستمرار.

4-1-مفهوم القارئ الضمني:

يُعد مفهوم **القارئ الضمني** من أهم المفاهيم التي قدمها إيزر. والمقصود به ليس قارئًا واقعيًا محددًا، وإنما صورة أو بنية للقارئ يستدعيها النص من خلال طريقة بنائه وإشاراته وطرائق تنظيمه.

فالنص الأدبي يتضمن مجموعة من الاستراتيجيات التي توجه عملية القراءة، وتفترض نوعًا معينًا من المعرفة والكفاءة لدى المتلقي. و يرى الدكتور بلمليح أن امبرتو ايكو هو أول باحث حدد هوية هذا القارئ ، إذ يمثل المقصد الذي يوصله نشاطه التعاوني إلى استخراج ما يفترضه النص و يعدنا به لا ما يقوله النص في حد ذاته ، إضافة إلى ملئه الفضاءات الفارغة و ربطه ما يوجد في النص بغيره مما يتناص معه (بلمليح،د.ت،ص:4،5) و لعل هذا القارئ الأخير شغل مساحة مهمة من فكر منظري التلقي ، لا سيما ايزر الذي فصّل في مفهوم هذا القارئ ، إذ يرى أنه (مجسد كل الاستعدادات المسبقة الضرورية بالنسبة للعمل الأدبي كي يمارس تأثيره ، و هي استعدادات مسبقة ليست مرسومة من طرف واقع خارجي و تجريبي ، بل

من طرف النص ذاته . و بالتالي فالقارئ الضمني كمفهوم ، له جذور متأصلة في بنية النص ؛ إنه تركيب لا يمكن بتاتا مطابقته مع أي قارئ حقيقي(ايزر،د.ت،ص:30)

4-2-الفجوات النصية ودور القارئ:

يرى إيزر أن النصوص الأدبية تحتوي على ما يمكن تسميته **الفجوات أو الفراغات**، وهي المواضع التي لا يقدم فيها النص جميع المعلومات بصورة مكتملة، وإنما يترك للقارئ مهمة الربط والاستنتاج والتأويل. وتشكل هذه الفجوات مجالًا مهمًا لممارسة القارئ نشاطه التأويلي.

تعرف لفجوات بأنها"تفاوت في مقار المعاوما ت بين المتكلم والمخاطب حيث يعرف أحدهما بعض مالا يعرفه الأخر وهذه الثغرة هي إحدى العناصر الضرورية للتواصل ؛ أي لتأدية الوظيفة التواصلية للغة (البعلبكي،1990،ص:207)

ومن هنا تصبح القراءة عملية مشاركة، لأن القارئ لا يتلقى عالم النص بصورة مكتملة، وإنما يشارك **في بناء صورة هذا العالم**. إن الفجوات في منظور إيزر تتضمن توجيهية جوهرية تنطلق من الانفصالات والانفكاكات التي يحملها النص وتثير القارئ وتحفزه على التفكير والتخيل ملء الفراغات. (شويرفيجن،د.ت،ص:47)

4-3-نظرية التلقي وإعادة تعريف المعنى:

أعادت نظرية التلقي تعريف مفهوم المعنى نفسه. فإذا كانت بعض الاتجاهات السابقة تبحث عن معنى ثابت يمكن اكتشافه داخل النص، فإن نظرية التلقي تنظر إلى المعنى بوصفه **عملية تحقق وتفاعل**.

فالمعنى لا يوجد فقط في الكلمات والجمل، وإنما يتشكل من خلال العلاقة بين ما يقوله النص وما يتوقعه القارئ، وبين ما يصرح به النص وما يستنتجه المتلقي، وبين البنية النصية والخبرة السابقة .بهذا نقترب من التفاعلية التي اشتهر بها ايزر ، و حديثه عن إنتاج المعنى ، لاسيما إذا كنا أمام قارئ يمتلك خيالا خصبا ، و ذهنا حادا ، ذلك أن ايزر : (ينظر إلى معنى النص على أنه من إنشاء القارئ و لكن بإرشاد من التوجيهات النصية ، و من ثم فإن القراء أحرار في ظاهر الأمر في أن يحققوا بطرق مختلفة معاني مختلفة تحقيقا عيانيا ، أو في أن يخلـقوها خلقا (هولب،د.ت،ص:157)

وهذا يعني أن: **النص يتيح إمكانات المعنى، والقارئ يحقق بعضها من خلال فعل القراءة.**

ومن هنا يصبح إنتاج المعنى عملية مفتوحة، لكنها ليست عملية اعتباطية؛ إذ تظل مرتبطة بالبنية النصية وبالإشارات التي يقدمها النص وبالكفاءة التأويلية للقارئ.

5.الفرع الخامس: القارئ من متلقٍ سلبي إلى شريك في إنتاج الدلالة

ظل القارئ في عدد من التصورات التقليدية خارج دائرة الاهتمام النقدي، إذ كانت العملية الأدبية تُفهم غالبًا باعتبارها انتقالًا للمعنى من المؤلف إلى النص ثم إلى القارئ. ووفق هذا التصور، يكون القارئ مجرد مستقبل لما يتضمنه النص من أفكار ودلالات.

غير أن نظرية التلقي أعادت النظر في هذا التصور، وأكدت أن القراءة ليست عملية استقبال آلي، لأن القارئ يدخل إلى النص محملًا بمجموعة من المعارف والخبرات والانتظارات التي تؤثر في طريقة فهمه وتأويله. بدأ القارئ يبسط سلطته على النص بالموازاة مع تلك الدعوات الرامية إلى إعادة الاعتبار للمتلقي باعتباره إحدى الأقطاب الرئيسية في تلقي الإبداعي وكذلك إنتاجه هذا ما آمنت به نظرية التلقي التي جعلت القارئ يقاسم صاحب النص ي ف العملية الإبداعية . فكما يشارك في صنع المعنى فكذلك يشارك في إبداع المتعة الجمالية ، بيد أنه في اللحظة الأولى لا دخل له في إبداعها (عبد الواحد،1996،ص:25،26)

فالقارئ لا يقرأ النص كما لو كان صفحة بيضاء، وإنما يقارنه بما يعرفه سابقًا، ويطرح عليه أسئلته الخاصة، ويستجيب لإشاراته، ويبني فرضيات حول مساراته الدلالية.

وبذلك انتقل القارئ:

من مستهلك للمعنى ⟶ إلى مشارك في بنائه ⟶ إلى فاعل في إنتاج الدلالة.

ويكشف هذا التحول عن إعادة تعريف العلاقة بين النص والمتلقي؛ فالنص لا يقدم معنى مكتملًا بصورة نهائية، والقارئ لا ينتج معنى منفصلًا عنه، وإنما يتشكل المعنى من خلال العلاقة التفاعلية بين الطرفين.

5-1-القراءة بوصفها فعلًا تأويليًا:

لا يمكن فصل فاعلية القارئ عن فعل التأويل؛ فالقراءة ليست مجرد تعرف على الكلمات والجمل، وإنما هي عملية عقلية وتأويلية يقوم خلالها القارئ بتحويل العلامات اللغوية إلى دلالات.

ويبدأ القارئ أثناء القراءة في بناء مجموعة من الفرضيات حول النص، ثم يقوم بتعديلها أو تأكيدها مع تقدمه في القراءة. ولذلك فإن عملية الفهم لا تحدث دفعة واحدة، وإنما تتشكل تدريجيًا من خلال حركة مستمرة بين أجزاء النص. فالقراءة الإستنطاقية لمجموعة العناصر والبنى التي يتضمّنها النص تندرج تحت مسمى القراءة الاستكشافية ، إن كون النص نسيجا "من عناصر متغايرة، ومن علامات مختلفة، تحيل على أنساق رمزية وثقافية متعددة، وأحيانا متعارضة (بوعزة،2011،ص:39)

وتظهر أهمية التأويل بصورة خاصة في النصوص التي تتسم بالتعدد الدلالي، والرمزية، والإيحاء، والحذف، والمفارقة، والغموض الفني؛ إذ يحتاج القارئ إلى تجاوز المعنى المباشر والبحث عن العلاقات الدلالية التي تربط مختلف عناصر النص.

2-5- تعدد القراءات وتعدد الدلالات:

يؤدي الاعتراف بفاعلية القارئ إلى الاعتراف بإمكان تعدد القراءات. فالنص الواحد يمكن أن يقرأ من زوايا مختلفة تبعًا لاختلاف القراء وسياقاتهم وأفق توقعهم.

وقد يركز قارئ على البعد الجمالي، بينما يركز آخر على البعد الاجتماعي أو النفسي أو الفلسفي أو الرمزي. وقد يتغير معنى النص نفسه بالنسبة إلى القارئ الواحد عندما يعيد قراءته بعد سنوات، لأن خبرته وسياقه قد تغيرا. توجد لبعض النصوص قدرة على توجيه القارئ إلى أمر ما أكثر من بقية الأمور الأخرى فمثلا: رواية الطيب صالح "موسم الهجرة إلى الشمال" لا يمكن - فيما أرى - للقارئ إلا أن ينشغل بشخصية مصطفى سعيد، أو بالإشكاليات الحضارية الكامنة فيها.. أي أن النص يقرر إلى حد كبير استجابة القارئ على رأى الناقد الألماني "ولنفجانج ايسر" (ثامر،1988،ص:79)

فللنص سلطة يمارسها على القارئ إن صح التعبير وهو موضوع مستقل بذاته إن النص الأدبي يمكن أن يقرأ قراءات متعددة بالنظر إلى الخصوصيات النفسية والاجتماعية والمعرفية التي تميز قارئا عن قارئ آخر؛ ولذلك تتباين مستويات القراءة وتتعدد من حيث العمق تبعا لخبرة القراء وأساليبهم، حتى قيل إن هناك عددا من القراءات يساوي عدد القراء (المرجع نفسه،ص:93)

وهذا يعني أن الدلالة ليست بالضرورة ثابتة بصورة مطلقة، وإنما تمتلك قابلية للتجدد.

غير أن تعدد القراءات لا يعني أن **كل قراءة صحيحة بالضرورة**؛ إذ ينبغي أن تستند القراءة إلى قرائن نصية وإمكانات دلالية يمكن الدفاع عنها. ولذلك فإن فاعلية القارئ تظل مرتبطة بحدود النص وإمكاناته.

3-5- حدود فاعلية القارئ:

إن التأكيد على دور القارئ لا ينبغي أن يقود إلى إلغاء النص أو تحويل القراءة إلى ممارسة ذاتية خالصة. فالنص يمتلك بنية لغوية ودلالية تحدد، بدرجات مختلفة، مجال التأويل.

ولهذا فإن العلاقة بين النص والقارئ تقوم على نوع من التوازن:

النص يوجه القراءة، والقارئ يحقق إمكانات النص.

فالقارئ يمتلك حرية التأويل، لكنها ليست حرية مطلقة؛ لأن أي تأويل يحتاج إلى أن يجد ما يسنده في النص.

6.الفرع السادس: جدلية النص والقارئ وحدود التأويل

أدى التحول من مركزية النص إلى فاعلية القارئ إلى إعادة بناء العلاقة بين طرفي العملية الأدبية على نحو أكثر تعقيدًا؛ فلم يعد النص يُنظر إليه باعتباره مصدرًا وحيدًا ونهائيًا للمعنى، كما لم يعد القارئ مجرد مستقبل سلبي للدلالة. وفي المقابل، فإن الاعتراف بفاعلية القارئ لا يعني منحه سلطة مطلقة تجعله قادرًا على إنتاج أي معنى يشاء، بمعزل عن بنية النص وإشاراته ومرجعياته. إن العمل الأدبي المفتوح يظل "مفتوحا على سلسلة لا منتهية من القراءات الممكنة وكل قراءة من هذه القراءات تعيد إحياء الأثر وفق منظور أو ذائقة أو تنفيذ شخصي (إيكو،2001،ص:40)فكل قارئ أو "مستهلك وهو يتفاعل مع مجموعة المثيرات وهو يحاول أن يفهم علاقاتها، يمارس إحساسا شخصيا وثقافة وأذواقا واتجاهات وإحكاما قبلية توجه متعته في إطار منظور خاص به" (ينظر:شويرفيجن،1988،ص:48،49)

ومن هنا تبرز **جدلية النص والقارئ** باعتبارها جوهر العملية التأويلية؛ فالنص يقدم إمكانات دلالية متعددة، والقارئ يعمل على تحقيق بعضها من خلال القراءة، بينما تظل هذه العملية محكومة بمجموعة من الضوابط النصية والسياقية والمعرفية. وبذلك يصبح المعنى نتيجة لتفاعل مستمر بين ما يقترحه النص وما يستثمره القارئ من خبرات وتوقعات.

6-1-النص بوصفه محددًا لإمكانات التأويل:

على الرغم من انفتاح النص الأدبي على قراءات متعددة، فإنه لا يخلو من عناصر تحدد مجال هذه القراءات. فاللغة، والبنية، والسياق الداخلي، والعلاقات بين الشخصيات والأحداث، والرموز والإشارات، كلها عناصر تسهم في توجيه المتلقي. فإذا كان النص يتيح أكثر من قراءة، فإن هذه القراءات لا تكون بلا حدود، وإنما تتحرك داخل مجال من الاحتمالات التي تفرضها بنيته.

وهنا يمكن القول إن النص يمتلك **سلطة توجيهية** وليست بالضرورة سلطة مغلقة؛ فهو لا يفرض دائمًا معنى واحدًا، لكنه يمنع بعض المعاني التي لا تنسجم مع بنيته. وبذلك يصبح النص شريكًا في العملية التأويلية، لا مجرد مادة خام يخضعها القارئ لرغباته.

6-2-السياق بوصفه وسيطًا بين النص والقارئ:

لا تحدث عملية التلقي في فراغ، وإنما تتم داخل سياق تاريخي وثقافي واجتماعي محدد. ولذلك فإن فهم العلاقة بين النص والقارئ يقتضي مراعاة السياق الذي تتم فيه القراءة و السياق يقصد به الإطار العام الذي تنتظم فيه عناصر النص، ووحدته اللغوية، والمقياس تتصل بوساطته الجمل فيما بينها وترتبط،

حيث يؤدي مجموع ذلك إلى إيصال معين أو فكرة محددة لقارئ النص ، وهو الصورة الكلية الين تنتظم الصور الجزئية، ولا يفهم كل جزء إلا بحسب موقعه من الكل؛ وقد أثبت العلم أن الصورة الكلية تتكون من مجموعة كبيرة من الجزئيات المتشاهبة أو المتباينة، تدخل كلها في تركيب الصورة . وللسياق محددات وأنواع(لغوي وخارج لغوي(سياق القرائن والسياق المقامي والسياق الوجودي والسياق النفسي وسياق الفعل.)

فالقارئ المعاصر قد يقرأ نصًا قديمًا من خلال أسئلة وقيم ومفاهيم تختلف عن تلك التي كانت سائدة عند ظهوره. وهذا الاختلاف قد يؤدي إلى ظهور دلالات جديدة أو إعادة ترتيب الدلالات القديمة.

وهنا تبرز أهمية مفهوم **أفق التوقع**؛ فالقارئ يواجه النص من موقع تاريخي وثقافي محدد، والنص بدوره قد يوافق هذا الأفق أو يخالفه أو يعمل على تغييره.

ومن ثم فإن إنتاج المعنى يتأثر بثلاثة مستويات متفاعلة:

النص ⟵ القارئ ⟵ السياق

ولا يمكن فهم أحدها فهمًا كاملًا بمعزل عن الآخرين.

الخاتمة:

يخلص البحث إلى أن التحول من سلطة النص إلى فاعلية القارئ يمثل واحدًا من أهم التحولات التي عرفتها النظرية الأدبية الحديثة؛ فقد انتقل الاهتمام من البحث عن المعنى الثابت الكامن في النص إلى دراسة الكيفية التي يتحقق بها المعنى من خلال فعل القراءة. ولم يعد القارئ مجرد مستهلك للخطاب الأدبي، بل أصبح طرفًا فاعلًا في العملية التأويلية، يسهم بخبرته وأفق توقعه وسياقه الثقافي في تحقيق إمكانات النص الدلالية.

وعليه، فإن نظرية التلقي لا تؤسس لقطيعة مطلقة مع النص، وإنما تقترح **علاقة جدلية وتفاعلية بين النص والقارئ**؛ فالنص يتيح إمكانات المعنى، والقارئ يعمل على تحقيقها وتأويلها، ومن خلال هذا التفاعل تتشكل الدلالة وتتجدد. ومن هنا يصبح إنتاج المعنى فعلًا

مناهل البحث

1-إدريس بلمليح ، قراءة القصيدة التقليدية

2-أمبرتو إيكو،2001، الأثر المفتوح، ترجمة عبد الرحمن بو علي،سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع ،ط2

3-آن جفرسون وديفيد روبي،د.ت، النظرية الأدبية الحديثة، ترجمة سمير مسعود

4-البعلبكي رمزي،1990، معجم المصطلحات اللغوية،بيروت:دارالعلم للملايين ، ط1 .

5-بن دنيا بعلي، فطيمة.(2013)،إشكالية التلقي والتأويل..في بحوث الإعلام المعاصر. مجلة الكلمة 80/20
6-حامد أبو حامد، 1996، الخطاب والقارئ: نظريات التّلقّي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة، سلسلة كتاب الرّياض، ع 30،
7-حسن مصطفى سحلول،2001 ،نظريات القراءة والتا وبيل الأدبي وقضاياه ، دمشق-سوريا:منشورات اتحاد الكتاب العرب
8-روبرت هولب ،د.ت، ترجمة : عز الدين إسماعيل، نظرية التلقي .
9-رولان بارت- ترجمة محمد خير البقاعي ، آفاق التناصية،
10-سامي إسماعيل، 2002،جماليات التّلقّي،القاهرة-مصر: المجلس الأعلى للثقافة
11-سعيد بنكراد،**2009م**، "سيميائيّات النص مراتب المعنى"، خليل ،عماد الدين، الإعصار والمئذنة، دار ابن كثير،.
12-سعيد عمري،2009، الرّواية من منظور نظرية التّلقّي مع نموذج تحليلي حول رواية أولاد حارتنا لنجيب محفوظ،فاس-المغرب:منشورات مشروع البحث النّقدي.
13-عبد الله الغذامي،1985 ، الخطيئة والتكفير،جدة: النادي الثقافي
14-عبد الله محمد الغذامي ،1994، القصيدة والنصّ المضادّ .بيروت-لبنان:المركز الثقافي العربيّ.
15-فاضل ثامر ، 1988، من سلطة النص إلى سلطة القراءة ، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 48-49
16-فائق مصطفى ، وعبد الرضا علي،د.ت، في النقد الأدبي الحديث،بغداد-العراق: منشورات جامعة الموصل
17-فرانك شويرفيجن، ترجمة: محمد البقاعي، نظريات التلقي، بحوث في القراءة والتلقي
18-فولفغانغ ايزر –ترجمة : حميد لحمداني و الجيلالي الكدية ،د.ت،فعل القراءة ، نظرية جمالية التجاوب في الأدب
19-محمد بوعزة، 2011، استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية،الجزائر: منشورات الاختلاف
20-محمود عبا س عبد الواحد،1996، قراءة النص و جمالية التلقي بين المذاهب الغربية و تراثنا النقدي – دراسة مقارنة –،القاهرة-مصر: دار الفكر العربي